

حقيقة "جويل بينين"

د. سامر سليمان، أستاذ مساعد الاقتصاد السياسى - الجامعة الأمريكية

الآن وقد تحول بعض أصدقاء جويل بينين من العرب إلى أعداء له، لنا الحق فى أن نعرف ماذا حدث. كل التهم الموجهة لجويل لم تقنعنى قالوا أنه إسرائيلى الجنسية وهذا غير صحيح، قالوا أنه صرح بأن الفلسطينيين سيلاقون مصير الهنود الحمر وهذا غير صحيح أيضا، وأنا كنت حاضرا فى الندوة التى نقل عنه فيها ذلك وأشهد أن ذلك غير صحيح، قالوا أنه فتح باب المجلة التى يشرف عليها فى الجامعة الأمريكية لتحليلات فيها مواقف مبطنة منحازة لإسرائيل، وهذا شئ مفهوم فى الحقل الأكاديمى، ألا تحجب تحليلات وراءها مواقف سياسية تختلف معها.

فى الحقل الأكاديمى التحليل يواجه بالتحليل، والعدمية الأخلاقية تقابل بأخلاقية شجاعة تواجهها، وهى لكل تواجهها يجب أن تستدعيها إلى النور هناك عبارة تكتب على المجالات الأكاديمية مفادها أن الكتابات المنشورة فى المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأى هيئة تحرير المجلة. نحن لا نأخذ هذه العبارة مأخذ الجد لأن مجلاتنا تضع هذه العبارة من باب الزينة، من باب أدعاء احترام حرية التعبير ولكن هناك مجلات أخرى تضعها من باب احترام آداب المهنة التى تنتمى إليها. يجب أن نسأل أنفسنا مرارا وتكرارا، هل هذه العبارة من باب الزينة أم باب احترام حقيقى لآداب المهنة؟

أنا فعلا لا أفهم هذه الحملة على بينين هل معقول أن المشكلة فى أنه قال أن العمل المسلح لن يأتى بنتيجة فى النضال الوطنى الفلسطينى؟ هذا موقف سياسى يقوم على حسابات باردة، ولا يقوم على التشكيك فى شرعية العمل المسلح لتحرير الأرض، من يختلف مع هذا الموقف له كل الحق أن ينتقده ويفنده. هل الحملة منطلقة من سوء تفاهم؟ أتمنى أن يكون ذلك كذلك، وأتمنى أن ندخل فى نقاش هادئ وموضوعى حول من الصهيونى ومن غير الصهيونى. المشكلة الآن لا تتعلق بجويل بينين، ولكنها تتعلق بعلاقتنا باليهود، من اليهودى الصهيونى ومن اليهودى غير الصهيونى؟

كان هناك تيار فى الحركة الوطنية المصرية والعربية يصدر على التمييز الواضح بين اليهودى والصهيونى، وهذا التمييز لم يكن نابعا فقط من اعتبارات أخلاقية حريصة على ألا تحمل كل اليهود جرائم البعض منهم، ولكنها كانت مدفوعة باعتبارات سياسية مفادها أن كسب المعركة ضد الصهيونية

يتطلب عدم التثنت والتركيـز مع العدو الأساسى، الفوز بأنصار من اليهود. هكذا نحتفى بناعوم تشومسكى، وهكذا كنا نفخر بيوسف درويش وصادق سعد وشحاتة هارون وغيرهم، يبدو أن هذا التيار خفت وأن خطابه ومفرداته. تراجعـت مقابل خطاب ومفردات تستخدم كلمة يهودى وصهيونى بالتبادل وهى مصيبة كبرى، ليس فقط من منطلق أخلاقى ولكن من منطلق سياسى أيضا، لأننا لو ناصبنا العداء لليهود فلن نجد فى العالم من يقف معنا سوى الفاشيين، واعتقد أنه لا يشرفنا بأى حال من الأحوال أن نلتقى مع الفاشية فى أى شئ وفى كل الأحوال الفاشية تكره العرب كما تكره اليهود، المنطق القائل: "كم من اليهود غير صهاينة؟" هو منطق مرفوض لأنه لو فرضنا جدلا أن كل اليهود صهاينة باستثناء واحد فقط فنحن نحتاج إلى هذا اليهودى الواحد لكى نثبت بشكل عملى أن مواقفنا ليست عنصرية وأنا أصحاب مواقف أخلاقية وإنسانية أتمنى أن تكون الحملة على جويل بينين ليست لها علاقة بديانته.

الجامعة الأمريكية من أفضل المؤسسات التعليمية فى مصر، وكانت هذه السطور تعلم فيها الكثير، نعم هى موصومة بكلمة أمريكية صراعنا مع النظام الأمريكى لا يجب أن يحجب أن هذه الجامعة أخرجت لمصر عناصر عظيمة الكفاءة، صراعنا مع النظام الأمريكى لا يجب أن يحجب أيضا أن لنا مواقع هناك فى عقر دارهم. والجامعة الأمريكية فى القاهرة هى أحد مواقعنا هناك التى يجب أن نحافظ عليها.

لا يجب أن نتخلى عن أصدقائنا فى هذه المواقع، أنا مازلت أعتبر جويل بينين أحد الأصدقاء لا أشك لحظة أنه من معسكر الأصدقاء، فكفانا ذبحا لأصدقائنا. من يختلف مع جويل فى نظرتـه لكيفية حل مشكلة فلسطين عليه أن يواجهه وينتقده، وللناس أن تحكم. من يقل أن جويل من الأعداء فعليه أن يقدم معلومات موثقة، غير ذلك سأستمر فى اعتباره صديقا وصديقا مخلصا أيضا.

جويل بينين هو كاتب أحد أهم الكتب عن الطبقة العاملة المصرية "عمال على ضفاف النيل" لم ينبذ اهتمامه بعمال مصر بالرغم من أن الصراعات الطائفية والدينية طغت وعريدت فى المنطقة، صحيح أن اهتمامه قل بالطبقة العاملة، ولكن من منا لم يقل اهتمامه بالعمال؟ العقد الماضى كان عقد صراع يتخذ من الهوية والدين عنوانا لنا لكنه عاد وكتب مقالة عن تحركات العمال الأخيرة يعنى هو يبحث عن بارقة أمل فى هذا البلد.

جويل بينين هو محرر أحد الكتب عن الانتفاضة الفلسطينية، ذلك الكتاب الذى كتب مقدمته إدوارد سعيد، والناس هنا لا تدري ما الثمن الذى يمكن أن تدفعه هناك مقابل تحرير كتاب من هذا القبيل.

جويل بينين لا يستحق ما يتعرض له، فهو لم ينتقل لمعسكر الأعداء، هو لا يزال فى معسكرنا المشكـلة أننا لا نرى معسكرنا بوضوح فأصبحنا نقتل بعضا البعض بنيران صديقة شئ مؤسف.

